مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 24 عدد: 52 السنة: 2020

الحضور الوَلائي في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط
عبد الرحمان الثعالبي أنموذجا

The guadianship presence in the Middle Maghreb during the middle age
Abdul Rahman Al-Th'albi as a model

هناء شقطمي[1]

طالبة دكتوراه جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة–

hanachagetmi@yahoo.fr

علاوة عمارة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة–

allaouaamara@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2019/01/21 القبول 2020/05/02 النشر على الخط 2020/09/15
Received 21/01/2019 Accepted 02/05/2020 Published online 15/09/2020

ملخص:

شكل موضوع الوَلاية والصلاح أهمية خاصة على مستوى البحث التاريخي، فعبرت المصنفات المناقبية عن الانتشار الواسع للظاهرة بالمغرب الإسلامي. كونها تكشف عن حقائق اجتماعية لفئة كانت مهمشة على الساحة التاريخية. ومن هذه النقطة اضطلعت الكتابة المنقبية بمهمة إبراز فئة الأولياء والصلحاء، وأخذت على عاتقها مسؤولية الإحاطة بكل تفاصيل حياتهم من النشأة حتى الفناء، والإشادة بإسهاماتهم التي تبدو جلية أثناء النكبات وأزمات الجوع والمرض. دون أن تنسى المورث الثقافي الذي تركوه، متمثلا في المصنفات التي ألفوها خصوصا العقائدية منها، كون الولي كان مرتبطا بالعالم الأخروي أكثر من الدنيوي. وبالتالي تأخذ وَلايته بعد احتجاجيا يتلخص في : الرفض والمخاض. كما شكل المجال الجغرافي أحد السمات المهمة التي امتاز بها الخطاب المنقبي كونه يهتم بتمجيد المقدس المكاني للأولياء، والذي نستشفه من خلال الحديث عن ضريح أنموذجنا في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: الوَلاية_ الصلاح_ المغرب الأوسط_ الثعالبي_ المناقب_ الكرامة.

Summary:

The subject of of wilayat and salah has a particular importance at the level of historical research, and the literary acts reflected the widespread of the phenomenon in the Islamic Maghreb. It reveals the social realities of a category that has been marginalized on the historical scene. From this point of view, the future writing carried out the task of highlighting the group of guardians and mercists, and it was her responsibility to take all the details of their lives from starving to annihilation, and to pay tribute to their contributions, which were evident during the setbacks, the crises of hunger and disease. Without forgetting the cultural heritage that they left, represented in the works they created, especially theological ones, the fact that the former was more connected to the other world than the worldly. His tenure thus follows a protest period: Rejection and labor. The geographical area is also an important feature of the future discourse, as it is concerned with the glorification of the divine space for the guardians, which we are looking at by talking about the tomb of our model in this article.

Key words: wilayat, salah, Middle Maghreb, Al-Th'albi, Al-Manakib, Al-Karama.

[1]– المؤلف المرسل: هناء شقطمي البريد الإلكتروني: hanachagetmi@yahoo.fr

مقدّمة:

شهدت بلاد المغرب تأخرا لظهور حركة التصوف مقارنة بنظيرتها المشرق.[1]ويعتبر الميلاد الحقيقي للتصوف في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، حيث أعطى كتاب إحياء علوم الدين للشيخ الغزالي البعد الحقيقي لمفهوم التصوف، والذي قوبل بالرفض من قبل السلطة المرابطية، إلا أنه استقطب الكثير من الفقهاء والمتعبدة أمثال أبي الفضل بن النحوي الذي قام بنسخه في ثلاثين جزاء واعتكف على قراءته[2].

اتجهت نللي سلامة العامري باعتبار أن رواج أفكار الصوفية وظهور الأولياء، هو نتيجة إلى دخول المجتمع في أزمة ذات أبعاد متفرقة على جميع الأصعدة السياسية الاقتصادية، هي التي تحرك التيارات الفكرية وهي ظاهرة عامة في بلاد المغرب ككل، فتقول" إن ما نتج عن الأزمة الأندلسية من هجرات متتالية وعلى دفعات إلى بلاد المغرب وإلى إفريقية تحديدا علاوة تعويل السلطة الحفصية منذ حكمها على العنصر الأندلسي. وما ينسبه بعضهم إلى هذا العنصر من إدخال تغيرات على مستوى ممارسة السلطة ومفهوم السياسي وعلاقة السلطة بالمجتمع سوف يكون له عظيم الأثر سواء على مستوى البناء النظري للتصوف على مستوى بعض أنماط من الصوفية تم إدخالها وترويجها بإفريقية[3]. وعلى الضفة الأخرى من بلاد المغرب الأوسط كانت نفس الاضطرابات السياسية[4]حافزا مهما في استعلاء ظاهرة التصوف والمتصوفين[5]، فقد دامت تلك الأوضاع إلى غاية عصر متصوفنا الثعالبي، واتخذ منها موقفا صريحا سنبينه أثناء حديثنا عن موقفه اتجاه سياسة السلاطين.

في الحقيقة أخذ الثعالبي بحض وافر من حيث اهتمام الباحثين والمؤرخين به وبتصوفه، فقد كتب في حقه الكثير من المقالات والدراسات، ولعل المقام لا يتيح لنا عرض الكل، وإنما أخذنا عينات منها على سبيل المثال لا الحصر، ولتكن البداية مع المؤرخ أحمد توفيق المدني الذي اعتنى بالثعالبي منذ فترة زمنية ليست بالقريبة، فقد كتب مقالا عنه نشر في مجلة مجمع اللغة العربية سنة1981، تحت عنوان "عبد الرحمان الثعالبي علامة الجزائر"[6]، استهله بمقدمة عامة تناول فيها الحديث عن التواجد الفاطمي ومن بعده الهلالي بالجزائر وما أحدثاه من تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ببلاد المغرب الأوسط، ثم التفصيل في كيفية انتشار القبائل الهلالية في جزائر بني مزغنة، ومن بينها قبيلة الثعالبة التي ينتسب إليها الثعالبي وتمركزها في سهل متيجة، و التنويه بالظروف

([1]) حول نشأة التصوف في المغرب الأوسط يراجع/ الطاهر بونابي، التصوف في المغرب الأوسط خلال القرنين 6-7هـ/12-13م"مساهمة في تاريخ الديني والاجتماعي للجزائر خلال العصر الوسيط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص85،47.

([2]) عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ط4، دار الأمان، الرباط، 1424هـ،2003م، ص40.

([3]) نليلي العامري، الوَلاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي، تقديم: هشام جعيط، مج.12، تونس: منشورات كلية الآداب بمنّوبة، جامعة منّوبة، ص58 .

([4]) عبد الرحمان بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 7، بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (د.ت.). ، ص 278،289، 349. محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور-دورها في سياسة وحضارة الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص209،213.

([5])"ولا شك أن وجود هذه الظاهرة كان يعود بالدرجة الأولى إلى ضعف الدولة أمام الانحلال الداخلي والخطر الخارجي..." سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 36-37.

([6]) أحمد توفيق المدني: " عبد الرحمان الثعالبي علامة الجزائر" مجلة مجمع اللغة العربية، ج 47، رجب 1401هـ/1981م.

السياسية المضطربة التي رافقت هذا التوطين.[1] لينتقل إلى الحديث عن تعليم الثعالبي مباشرة دون ذكر ترجمته والمصادر التي اعتنت بها، واقتصر على ذكر شيوخه ورحلته العلمية، معرجا إلى ذكر مصنفاته في مختلف العلوم، وعرض بعض عناوينها باختصار دون تفصيل أو ذكر المحَقق منها دون غيره[2]. ثم يتطرق إلى وصف الثعالبي بالزاهد الورع دونما تفصيل في مكانته الوَلوية أو إبراز دوره الوظيفي فيها[3]. و الأهم من هذا هو غياب الإشكالية لهذا المقال والذي من شأنه معالجتها وفقا للمنهجية المطلوبة في عرض المعلومات. فحين استهل الصادق دهاش القسم الأول من مقاله الموسوم بـ" العلامة عبد الرحمان الثعالبي رحلة علم وعمل"[4]، بطرح الإشكالية مباشرة دون مقدمات، لينتقل بعدها إلى الحديث عن الأوضاع السياسية الثقافية التي صاحبت عصر الثعالبي[5]، ثم ثم ترجمته ورحلته العلمية[6]، و في القسم الثاني من المقال: تناول فيه: إجازات العلماء والشيوخ له،[7]ثم التطرق إلى ذكر مؤلفاته،[8] مؤلفاته،[8] ليخلص بشكل مختصر إلى الإشارة لمن كتب عن شخصيته العلمية الفذّة.[9]

يعد مقال عليوان أسعيد[10] أكثر تعمقا في الطرح والتفصيل في شخصية الثعالبي، بدأه بمقدمة يبرز فيها مكانة الثعالبي العلمية في الذاكرة الوطنية، وطرح إشكالية مفادها التحقق من أن الثعالبي يمكن اعتباره نموذجا للتصوف المعتدل في ظل انتشار التصوف المنحرف إن صحّ التعبير[11]. ثم عرضه للخطة التي من شأنها الإجابة عن الإشكالية المطروحة، مبتدأ بعرض تفصيلي لعصر الثعالبي مركزا دائما على الأجواء السياسية، الاجتماعية، الثقافية، ثم ذكر حياة الثعالبي باختصار: المولد النسب، الدراسة الرحلة، نتائج الرحلة، وصولا إلى إنتاجه الفكري.[12]

ثم التطرق للكلام عن التصوف عند الثعالبي، مبرزا مفهومه ومصدره، ثم مصادر تصوف الثعالبي والحديث عن الغزالي ومدى تأثر الثعالبي به، ثم العودة للحديث عن التصوف ومنهجه السني، ومظاهره: الطريقة، الولاية، اللباس، الخلوة، المعرفة، الظاهر والباطن.

---

(1) نفسه، ص 65،68.

(2) أحمد توفيق المدني: " عبد الرحمان الثعالبي علامة الجزائر"، المرجع السابق، ص 68، 72.

(3)نفسه، ص 73-74.

(4) الصادق دهاش،" العلامة عبد الرحمان الثعالبي رحلة علم وعمل" (القسم الأول)، مجلة الدراسات الإسلامية، ع11، جمادى الثانية 1428هـ/ جوان 2007م، مجلة ثقافية محكمة نصف سنوية يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر.

(5) نفسه، ص 151،154.

(6)نفسه، ص 155،

(7)نفسه،" العلامة عبد الرحمان الثعالبي رحلة علم وعمل" (القسم الثاني)، مجلة الدراسات الإسلامية، ج2، ع12، رجب 1428هـ/ جويلية2007م، مجلة ثقافية محكمة نصف سنوية يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، ص 140، 150.

(8)نفسه، ج2، ص 151،153.

(9) نفسه، ج2، ص 153-154.

(10) عليوان أسعيد، " عبد الرحمان الثعالبي متصوفا"، المعيار، دورية علمية محكمة، ع 14، رجب 1428هـ/ جويلية 2007م، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.

(11) عليوان، المرجع السابق ، ص 300-301.

(12) نفسه، ص 301،308.

[1] ثم عرضه للنهج الذي انتهجه الثعالبي في إصلاح التصوف بمحاربة البدع وما ينجر عنها. [2] يعود للحديث عن العوامل المساهمة في تصوفه المعتدل، ثم ثناء العلماء عليه، والذي من المفروض يكون في البداية مع ذكر ترجمته، وأخيرا يرجع يتكلم عن تأثيره الصوفي وطرقه المنتهجة في ذلك. [3]

قامت أمينة صاري بنفض الغبار عن مخطوط نفيس[4] للثعالبي، بعد تحقيقها له مبرزة أهميته في التراث المحلي، فكتبت مقالا تحت عنوان "قراءة في مخطوط الجامع الكبير للعلامة أبي زيد عبد الرحمان الثعالبي"[5]، استهلته بمقدمة وجيزة عن المخطوط ومحتواه[6]، ثم تطرقت إلى إعطاء لمحة وجيزة أيضا عن عصر الثعالبي وترجمة لحياته ،[7]مخصصة الحظ الأوفر لعرض المخطوط، وتحقيق عنوانه الذي ورد بشأنه الاختلاف، وإعطاء الأدلة التي تثبت تسميته المشهور بها، و تاريخ تأليفه. [8]تعريجا إلى عرض أسباب تأليفه[9]، وأسلوب وأسلوب الثعالبي ومنهجه فيه، معتمدا في ذلك على ما قلّ ودل،[10] بلغة سليمة واضحة المعاني، وموصلة للمعنى،[11] دون مراعاة لترتيب الأعلام المترجم لهم. [12]

ثم ذكرت المصادر التي اعتمدها الثعالبي في تأليفه "الجامع"، والتي أغلبها هي عبارة عن تراجم لفقهاء المالكية[13]، إضافة إلى مصادر أخرى متنوعة بين الفقه والحديث وغيرها[14]. لتخلُص في الأخير إلى تفصيل محتوى المخطوط، وما جاء فيه بالترتيب فذكرت أولا: التراجم التي تناهز المائة ترجمة،[15] مركزة في قراءتها لبعدها الزماني والجغرافي والعلمي والاجتماعي. [16] لتنتقل إلى عرض المحطة الثانية

([1]) نفسه، ص 309،322.

([2]) نفسه، ص 323،325.

([3]) نفسه، ص 325،329.

([4]) الموسوم بالجامع الكبير.

([5]) أمينة سليمة صاري،" قراءة في مخطوط الجامع الكبير للعلامة أبي زيد عبد الرحمان الثعالبي (ت875هـ/1470م)"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 03، مركز البصيرة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2014، ص 133.

([6]) نفسه، ص 133.

([7]) نفسه، ص 133،136.

([8]) أمينة صاري، المرجع السابق، ص 136،138.

([9]) "... وقد تقدم أن قصدي في هذا الجامع، جمع الفاويد من غير التفات إلى ترتيب على عادة السلف، وفيه زيادة نشاط النفس، وبالجملة فقصدي نفع عباد الله والحرص على ما يبلغهم إلى مرضات ربهم سبحانه..."، الجامع الكبير، ق 114 ظ، نقلا عن أمينة، نفسه، ص 138.

([10]) نفس نفسه، ص 140.هـ، ص 139-140.

([11]) نفسه، ص 140.

([12]) نفسه، ص 140-141.

([13]) نفسه، ص 142-143.

([14]) نفسه، ص 143-144.

([15]) نفسه، ص 144.

([16])نفسه، 144- 145.

من المخطوط وهي: رحلة الثعالبي العلمية،[1] فالمحطة الثالثة منه: إجازاته العلمية من المشايخ والمقدرة بعشر إجازات، موضحة أنها عبارة عن رسائل بخط يد الثعالبي يطلب منهم إجازته، ومتضمنة لرد الشيوخ عليها بالموافقة.[2] مستنتجة منها نقاط مهمة هي:معرفة طريقة طلب الإجازة، والصيغة التي كتبت بها، مع إمكانية الاستفادة بأكثر من إجازة من نفس الشيخ، المادة العلمية التي تحصل الثعالبي فيها على إجازته، وتواريخ كل الإجازات التي تحصل عليها.[3] ثم الحديث عن أبواب المخطوط الأخرى والمتمثلة في: أبواب تشمل فوائد متنوعة، ناقش فيها الصلوات الرواتب والصوم وغيرها[4]، باب الأذكار، باب الزهد باب الطاعات ومكارم الأخلاق، باب الموت ويوم البعث، باب جهنم، باب الجنة ونعيمها.[5]

وبناء على ما تقدم عرضه نجد أنفسنا أمام طرح ما مدى تجسد ظاهرة الوَلاية في شخصية الثعالبي؟ وهل كان له حضور وكاريزمية قوية كان من شأنها التأثير في مجتمع المغرب الأوسط؟ ما هي العوامل التي مكنته من أن يتصدر معلم الوَلاية في الفترة محل الدراسة؟ وللوصول إلى تفسير هذه التساؤلات، انتهجت الخطوات التالية:

ظاهرة الوَلاية والصلاح في المغرب الأوسط:

تقترن ظاهرة الوَلاية[6] بالصلاح[7]، هذا الأخير كان له شأو عظيم إذ نجده يقترن مع بقية المراتب الأخرى للولي[8]، أو بصيغة أخرى انه حتمية مؤكدة لبلوغ صاحبه رتبة الوَلاية في أساسها. وفي هذا السياق يقول ابن القنفذ:" ...ودرجات الصالحين تختلف بالترقي في ذلك على حسب العناية من الله تعالى في المماليك"[9]. يربط ابن قنفذ الصلاح بالعمل والاجتهاد وليس التقاعس

([1])نفسه، ص 145-146.

([2]) نفسه، ص 146-147.

([3]) أمينة، قراءة في مخطوط الجامع، المرجع السابق، ص 146

([4]) نفسه، ص 148.

([5])نفسه، ص 149.

([6]) "هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكن"، عبد الرزاق القاشاني، اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتعليق، محمد كمال إبراهيم جعفر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 2008، ص 54.

([7]) "هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكن"، عبد الرزاق القاشاني، اصطلاحات الصوفية، تحقيق وتعليق مشتق من الصالح ومعناه""هو من امتثل لأوامر الله واجتنب نواهيه ورزق الخوف من الله تعالى لا من خلقه واجتهد في طاعته عز وجل وبحث عن أمر كسبه ووقف عند حدود ما حد له ورجع عن كل ما لا يعلم حكمه..."، ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه:محمد الفاسي، أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، ص 3.، محمد كمال إبراهيم جعفر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 2008، ص 54.

([8]) "هو من يتولى الله سبحانه أمره، فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته...وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجرى على التوال ، من غير آن يتخللها عصيان"، القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، ج2، ص 416.

([9]) أنس الفقير، المصدر السابق، ص 3.

والعيش على الهبات والصدقات إزاء التماس البركة[1]. "إن حضور الأولياء بين الناس يحقق لهم وجود الصلاح، فالولاية تتولى تمر الناس، ترعاهم بحضورها بينهم إذ الصلاح يعني الحياة الاستمرارية والبقاء انه الوجود." [2]

وقد أخذ مصطلح **الصالح** نفس المفهوم في إفريقية في الفترة الحفصية، فكان يقصد به درجات متقدمة في مراتب الولاية[3]. "فكأن "فكأن الولي لا يكون إلا صالحا".[4] وقد أطنبت كتب المناقب في ذكر الصالحين والحث على محبتهم. [5] وفي نفس السياق نجد ارتباط **الوَلاية بالصلاح**، يحتم الارتباط **بالتوبة**[6] التي يطلق عليها محمد سعيد اصطلاح" **الفرار الطوعي من النعيم** " [7]. ويقصد ويقصد انتقال الولي من حالة الرخاء إلى الشدة، والزهد عن الملاذ الذي كان يعيشه في وسطه الاجتماعي. [8] دونما ضغط من أي طرف ولكن رغبة منه في تزكية النفس والارتقاء عن مغريات الحياة وملاذها."إن هذا التحول في حياة بعض الأفراد قد كانت له انعكاسات على مصيرهم إذ حولهم من مجرد أناس عاديين إلى كبار رموز الظاهرة الوَلائية." [9]

إن التركيز على البعد الكرامي للولي لا يعني بالضرورة ارتقاء صاحبه إلى منزلة العارفين والمثقفين[10]، وقد أخذ الولي العارف مكانة كبيرة حتى أن التنبكتي قد ألف في هذا المجال كتابه الموسوم ب"تحفة الفضلاء"، والذي يعرض فيه أقوال للعلماء والأولياء في المفاضلة بين العلماء والأولياء العارفين. [11]

ومن هذا المنطلق فإن الثعالبي يصنف ضمن الصنف الثاني، فهو من كبار الأولياء العارفين المتشبعين بالعلوم والمتشربين لأصولها، وهذا ما سأحاول إبرازه من خلال عرضي لأهم محطات حياته، وإبراز مكانته العلمية والدينية والاجتماعية في وسطه العام والخاص.

([1]) فيقول ابن قنفذ:" الصالح من بحث عن أمر كسبه"، نفسه، ص 3.

([2]) محمد رضا بودشار،" الطبيعة وتشكيل المقدس في الوَلاية الصوفية" أفكار، شهرية تعنى بقضايا الفكر والدين، ع(12)، يناير 2012، المملكة المغربية، ص 30.

([3]) سلامة العامري، المرجع السابق، ص 298، 508.

([4]) محمد سعيد: الولاية والصلاح بإفريقية في العصر الوسيط الأول، مجمع الأطرش للنشر وتوزيع الكتاب المختص، ط1، تونس، 2018.، ص 87.

([5]) الإفراني المراكشي: درر الحجال في مناقب سبعة رجال، دراسة وتحقيق، حسن جلاب، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، ط2، 2016، ص 54-55.

([6]) و التوبة لا تصح إلا بعد معرفة النفس، وهي أن تنظر في الذنب إلى ثلاثة أشياء: إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه، وفرحك عند الظفر به، وقعودك على الإصرار عن تداركه مع يقينك بنظر الحق إليك"، القادري حسين بن محمد الفركاوي، **شرح منازل السائرين**، تحقيق، عاصم إبراهيم الدكالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، ط1،كتاب ناشرون، بيروت، لبنان ، 2015، ص 20.

([7]) نفسه، ص 263.

([8]) نفسه، ص 263.

([9]) منازل السائرين، المرجع السابق، ص 263.

([10]) أبو رأس، عجائب الأسفار، المصدر السابق، ج1، ص 70. التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981، ملحق 3، ص 334.

([11]) التنبكتي، تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، تحقيق، سعيد سامي، منشورات معهد الدراسات الافريقية، الرباط، المملكة المغربية، 1992، ص 43،57.

ترجمة عبد الرحمان الثعالبي:

وصفه التنبكتي قائلا:" الإمام حجة الإسلام العالم العامل الزاهد الورع الولي الصالح الناصح، أبو زيد عبد الرحمان الثعالبي...زاهدا معرضا عن الدنيا وأهلها، وله تواليف عديدة منها: فهرسته المسماة ب:" غنية الوافد وبغية الطالب الماجد"، تتضمن ما فيها من الأسانيد والفوائد"[1]. وذكره الإفراني المراكشي قائلا: " الشيخ العارف بالله أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الثعالبي"[2].

***كنيته:** هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف المشهور بالثعالبي الجزائري، وقد نُسب نسبه إلى سلالة جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول صل الله عليه وسلم " أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف بن طلحة ابن عمر بن نوفل بن عامر بن منصور بن محمد بن بن سباع بن مكي بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن مفضل بن عبد البر بن قيس بن هلال بن عامر بن حسان بن محمد بن جعفر بن أبي طالب "[3]. الذين سكنوا فحص متيجة. [4]

إلا أن ابن خلدون يورد لنا رواية عكس ذلك ويفند بها نسب الثعالبي إلى آل البيت وينسبه إلى العرب اليمنية من قبيلة معقل[5] التي التي استوطنت في سهول متيجة[6]فيقول: "أما الثعالبة إخوتهم من ولد ثعلب بن علي بن بكر بن صغير أخ عبيد الله بن صغير فهو فهو المنهى لهذا العهد بمتيجة[7]من بسيط الجزائر وكانوا قبلها يتطيرون ومواطن حصين لهذا العهد نزلوها منذ عصور قديمة وأقاموا بها

([1]) التنبكتي، اللآلي السندسية في الفضائل السنوسية، وهو مختصر كتاب المواهب القدسية في المناقب السنوسية، تحقيق، محمود براهم، وزارة الثقافة، 2011، ص 51.

([2]) درر الحجال، المصدر السابق، ص 19.

([3]) " بنو العباس محمد بن محمد بن الحسن بن جعفر بن ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أمهم كلهم زرزالة السوداء، وهم بناحية متيجة وسوق حمزة." محمد بن علي المشهور بابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1382هـ/1962م، ص44. رمضان يخلف: عبد الرحمان الثعالبي ومنهجه في التفسير، إشراف، مساعد مسلم آل جعفر، ماجستير، معهد أصول الدين، شعبة الكتاب والسنة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1991-1992،ص 24.

([4])ذكرت متيجة في المصادر الجغرافية بأنها: " قزرونة وهي مدينة على نهر كبير عليه الأرحا والبساتين ويقال أنها متيجة ولها مزارع ومسارح وهي أكثر تلك البلاد كتانا ومنها يحمل وفيها عيون سائحة وطواحين ماء، ومنها إلى مدينة أغزر ومنها إلى مدينة جزائر بني مزغنة..." البكري، المسالك ، ص65-66. معجم البلدان ج5، ص63 الروض المعطار، 523.مؤلف مجهول (كاتب مراكشي من كتاب القرن 06هـ/12م ينسب لابن عبد ربه الحفيد): الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر آفاق عربية، (د.ت) ، ص132.

([5]) عبد الهادي التازي" القبائل العربية بالمغرب بحسب مخطوط ابن العياشي(1139هـ/1727 م)"، ج84،مجلة مجمع اللغة العربية، محرم 1420/ماي 1999. ص 193.

([6]) يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، ج.1، الجزائر، إصدارات المكتبة الوطنية-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1400هـ/1980م، ص 246. القبائل العربية بالمغرب، المرجع السابق، ص 193.

([7]) "كان هذا الحي من أعظم أحياء بني يادين وأوفرهم عددا وكانت مواطنهم حفافي وادي شلف قبلة جبل وانشريس(كذا) من أرض السرسو وهو المسمى لهذا العهد نهر صا وكان بأرض السرسو بجهة المغرب منه بطون من لواتة وغلبهم عليها بنو وجديجن .....وكان من أشهر بطون بني توجين هؤلاء يوئد بنو يدللتن وبنو قمرى وبنو مادون..... وكانت رياسة بني توجين جميعا عند انقراض أمر بني عبد المؤمن لعبد القوى بن العباس بن عطية الحيو وأحيائهم جميعا بتلك المجالات القبيلية فلما وهن أمر بني عبد المؤمن وتغلب مغراوة على بسائط متيجة.." العبر، المصدر السابق، ج7، ص154،161.

بها حيا حلولا ويظهر أن نزولهم لها حين كان ذوى عبيد الله في مواطن بني عامر لهذا العهد وكان بنو عامر في مواطن بني سويد فكانت مواطنهم لذلك العهد متصلة بالتلول الشرقية فدخلوا من ناحية كزول وتدرجوا في المواطن إلى ضواحي المدينة ونزلوا جبل تيطري وهو جبل أشير الذي كانت فيه المدينة كبيرة فلما بلغت بنو توجين[1] على التلول وملكوا ونشريس زحف محمد بن عبد القوى على المدينة فملكها وكانت بينهم وبينه حروب وسلم إلى أن وفدت عليه مشيختهم فتقبض عليهم وأغزى من وراهم من بقية الثعالبة واستلحمهم واكتسح أموالهم وغلبهم بعدها على تيطري وأزاحهم عنها إلى متيجة

وأنزل قبائل حصين تيطري وكانوا معه في عداد الرعايا يؤدون إليه المغارم والوظائف ويأخذهم بالعسكرة معه ودخل الثعالبة هؤلاء في إيال مليكش من صنهاجة ببسيط متيجة وأوطنوا تحت ملكتهم وكان لهم عليهم سلطان كما نذكره حتى اغلب بنو مرين على المغرب الأوسط واذهبوا ملك مليكش منها استبد الثعالبة هؤلاء بذلك البيسط وملكوه وكانت رياستهم في ولد سباع بن ثعلب بن علي بن مكر بن صغير"[2]وهذا ما يؤكده صاحب الأسفار في قول آخر[3] الثعالبي من الثعالبة الذين ينتمون إلى عرب معقل هذا القبيل لهذا العهد من أوفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الأقصى مجاورون لبني عامر من زغبة في مواطنهم بقبلة تلمسان وينتهون إلى البحر المحيط من جانب الغرب وهم ثلاثة بطون ذوى عبيد الله وذوى منصور وذوى حسان ... [4] ، ولد سنة(786هـ/ 1384م) على أرجح الروايات بوادي يسر موطن أجداده الثعالبة بالقرب من مدينة الجزائر إلى الجنوب الشرقي وبه نشأ نشأته الأولى على يد والده"[5] اندثر ملك الثعالبة بفحص متيجة[6] على يد أبي حمو الثاني سنة (780هـ/1378م) الذي قضى قضى عليهم وعلى زعيمه سالم بن إبراهيم الثعالبي سنة(779هـ/1377م) [7]، وكان سبب ثوران أبو حمو الثاني عليهم، هو تحالفهم مع صاحب بجاية أبي زكرياء لصالح الأمير المريني يوسف بن يعقوب ضد الزيانيين، فلما سمحت الفرصة لبني عبد الواد قضى على الثعالبة وحاصر بجاية واستولوا على مغراوة[8]. كما زحف المرينيون إلى مواطن الثعالبة بالمغرب الأقصى وقضوا عليهم واستولوا على أموالهم وهلكت مليكش[9].

([1]) نفسه، ج6، ص 64.

([2])" وقد علمت عن قريب ما يخالفه والله اعلم.."، محمد بن أحمد أبو رأس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق، محمد غانم، ج1، منشورات مركز في الأنتربولوجية الاجتماعية والثقافية، 2005، ص 70.

([3]) ابن خلون، المصدر السابق، ج 6، ص 58. وأيضا عبد الوهاب منصور، قبائل، ج1، المطبعة المالكية بالرباط، المغرب، هـ1388/1968م، ص 424.

([4])عبد الرحمان الثعالبي الأنوار في آيات النبي المختار، دارسة وتحقيق، محمد الشريف قاهر، ط1، ج1، جامعة الجزائر، دار ابن حزم، بيروت، لبنان 2005 ، ص 99.

([5])وقد شيّد الثعالبة بهذا الفحص وما حوله ثلاثين حصنا عندما كانوا في أزهي قوتهم وسيطرتهم عليها. عجائب الأسفار، المصدر السابق، ج2، ص63.

([6]) العبر، المصدر السابق، ج6، 65. عجائب الأسفار، المصدر السابق، ج1، ص70.

([7]) نفسه، ج2، ص 63.

([8]) مؤلف مجهول، السفر الثاني من زهر البستان في دولة بني زيان 760-764هـ/1359-1363م، عناية وتقديم، محمد بن أحمد باغلي، الأصالة للنشر والتوزيع، بدعم من وزارة الثقافة، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ص160-161.

([9])الأنوار، المصدر السابق، ص101، محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية، المصدر السابق، ص335.

رحلته العلمية:

ذكر محقق كتاب الأنوار أن الثعالبي كانت بداية رحلته إلى مدينة تلمسان[1]، إلا أن الأصح هو أنه بدئها من بجاية وذلك لأنها الأقرب إلى وادي يسر مسقط رأسه وما يؤكد ذلك هو أن كل من ذكر ترجمته لم يشر إلى ذهابه إلى تلمسان وأخذه عن ابن مرزوق وإنما أخذ عنه عندما التقى به في تونس[2]، والقول الأرجح انه انطلق من بجاية على حد قوله:" رحلت في طلب العلم من ناحية الجزائر من موضع يقال له يسر وهو: واد مشهور وذلك في أواخر القرن الثامن، ثم تناهت بي الرحلة إلى بجاية فدخلتها عام اثنين وثمانمائة: فلقيت الأئمة المقتدى بهم في علمهم وورعهم..." [3]وأخذ العلم عن كبراء شيوخها وحضر مجالسهم وهم عبد الرحمن الوغليسي (ت 786هـ/1384م) [4]، وأبي الحسن علي بن عثمان المنجلاتي[5]،وأبي الربيع سليمان بن الحسن (ت 845هـ/1441م) [6] وأبي الحسن علي بن محمد اليليلتي[7]وعلي بن موسى وأبي العباس أحمد بن عبد الرحمان النقاوسي البجائي[8] وانتقل بعدها إلى إلى مدينة تونس سنة (809هـ/ 1406م)، وتتلمذ على أصحاب الفقيه التونسي الكبير ابن عرفة (ت803هـ/ 1400 م) [9] وفي مقدمتهم أبي مهدي عيسى الغبريني (ت815هـ/1412) [10]وأبي القاسم البرزلي (ت841هـ/1437 م) [11]وأبي يوسف الزغبي (ت 833هـ/1429 م) [12]و أحمد بن محمد الهنتاتي المشهور بالشماع (ت 833هـ/ 1429م) [13]، ثم ارتحل إلى مصر وسمع صحيح البخاري وكذلك اختصار كتاب الإحياء لعلوم الدين، ثم إلى مكة وبعد ما أدى فريضة الحج سمع بعض من قراءة الموطأ " ثم عاد إلى

([1]) التنبكتي نيل الابتهاج، المصدر السابق ،ص257،261. الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق: محمد أبو الأجفان، عثمان بطيخ، القسم الأول والثاني، بيروت-تونس: مؤسسة الرسالة-المكتبة العتيقة، 1402هـ/1982م، ص68،72.

([2]) الجامع مخطوط ب م و ح ن الجزائر رقم 851 ورقة 38 ظ،39 و نقلا عن عبد الرزاق دحمون، الشيخ عبد الرحمان الثعالبي وآراؤه الاعتقادية من خلال تفسره الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص43.

([3]) ابن قنفذ، الوفيات ، تحقيق عادل نويهض، ط4، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 62.

([4]) لم يذكر سنة وفاته نيل الابتهاج، ص332.

([5]) نيل، المصدر السابق، ص185، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط.2، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1400هـ/1980م، ص 76.

([6])كتاب الجامع، ورقة 123و، نقلا عن دحمون، المرجع السابق، ص 49.

([7])لم يذكر وفاته، نيل، المصدر السابق، ص111-112. محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج (1149هـ/1736 م) ،الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب الهيلة، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص 791،801.

([8]) نيل، المصدر السابق، ص 463، 471.

([9]) نفسه، ص 487-488. محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرّج حواشيه وعلّق عليه: عبد المجيد خيالي، ج.1، بيروت: منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنّة والجماعة (دار الكتب العلمية)، 1424هـ/2003م، ج1،ص244.

([10]) نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 297-298، شجرة النور الزكية، المرجع السابق، ج1، 243.

([11]) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، مج7، ج11، ص 133.

([12]) نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 621-622.

([13])نفسه، ص 111.

مصر وحضر مجلس الفقيه المالكي أبي عبد الله البساطي[1]، وأخذ علم الحديث والإجازة عن الشيخ ولي الدين العراقي ثم قفل عائدا إلى تونس ليكمل استقائه للعلوم على يدي الفقيه أبو عبد الله القلشاني (ت 837هـ/1433) [2] الذي تصدر مكان الغبريني بعد موته، وأخذ أيضا الإجازة أيضا من الفقيه ابن مرزوق[3] البلالي أبو عبد الله المعروف بالحفيد (ت 842هـ/1438) [4]، أثناء قدومه إلى تونس سنة 819هـ/1416، وفوجه إليه أربع طلبات لإجازته، كانت الأولى منها سنة (819هـ/1416م) [5]. وسمع منه الموطأ بقراءة الفقيه عمر القلشاني (ت890هـ/1485) [6]، وأجازه بها أيضا الشيخ أبي زرعة العراقي[7]، وأجازه أيضا الشيخ محمد بن عبد اللطيف المعروف بابن الكويك عن طريق شيخه ابن مرزوق أثناء مروره بمصر لالتحاق بركب الحج[8]، وأخذ عن كذلك عن عبد الواحد الغرياني[9]، وأبو القاسم العبدوسي (ت 837هـ/1433) [10]، و عبد الله بن مسعود التونسي المشهور بابن قرشية (ت 837هـ/ 1433 م) [11]، وغيرهم[12]. وقد أثنى الثعالبي على نفسه بأنه برع في علم الحديث دون منازع." وكان بعض فضلاء المغاربة يقول لي لما قدمت من المشرق: كنت أية في علم الحديث"، رجع إلى أرض الوطن سنة 820هـ/1317م "[13].

تولى الثعالبي الإمامة والخطابة بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر وبعدها ولي القضاء دون رضاه وأقال نفسه منهم، وامتهن التدريس[14]والتف حوله جمع غفير من الطلبة التي ذكرهم ، وظل متقلد لمنصب الإفتاء حتى وافته المنية يوم الجمعة 23 رمضان سنة 875هـ /1470م[15]، ودفن في مكان خارج باب الوادي يسمى بجابنة الطلبة[1] ، وكذلك جل أولاده[2]. ومن بين الذين رثوه وتأثروا بفقدانه تلميذه الشيخ الفقيه البجائي أحمد بن عبد الله الزواوي في كتابه" كفاية المريد في علم التوحيد" يقول فيه:

([1]) نيل الابتهاج، المصدر السابق ، ص 511، 516، دحمون، المرجع السابق، ص 44

([2])الضوء اللامع، المصدر السابق، ج8، 257، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 496-497.

([3])حول إجازة ابن مرزوق للثعالبي، يراجع: رمضان يخلف: عبد الرحمان الثعالبي، المرجع السابق، ص 28،32.

([4]) نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 499، 510.

([5])أمينة صاري، قراءة في مخطوط الجامع، المرجع السابق، ص 146.

([6]) نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 558-559.

([7]) عبد الرحمان الثعالبي، العلوم الفاخرة في أمور الآخرة، ج2، ورقة 42، نقلا عن دهاش، المرجع السابق، ج2، ص 149.

([8]) الصادق دهاش، رحلة علم وعمل، ج2، ع12، 2007، المرجع السابق، ص 143-144.

([9]) ذكر التنبكتي أنه تلميذ الغبريني ولم يورد ترجمته، نيل، المصدر السابق، ص 332.

([10]) نفسه، ص 270، 274.

([11])نفسه، ص230.

([12]) نفسه، ص257، 261، الحلل السندسية، المصدر السابق، ج1، 611، 615. تعريف الخلف، المرجع السابق، القسم الأول ص68، 72.

([13]) التحفة المرضية، المصدر السابق، ص 336.

([14]) مارس أغلب الأولياء بالمغرب الأوسط مهنة التدريس بالإضافة إلى مهن أخرى الحياة وغيرها ينظر/ منصور دحمور:" الذهنية الاقتصادية لأولياء المغرب الأوسط فيما بين ق5-10هـ/ 11-16م" ع(1)، مجلة حروف للدراسات التاريخية، أوت 2014، ص45-46.

([15]) ذكر الونشريسي بأنه توفي في سنة 876هـ، أحمد بن يحي الونشريسي، كتاب وفيات الونشريسي، تحقيق، محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، ص 105-106.

لقد عجزت نفسي لفقد أحبتي وحق لها من مثل ذلك تجزع
ألمّ بنا ما لا نطيق دفاعـــــه وليس لأمر قدر الله مرجـــع
لقد بأن أهل العلم عنا وأقفـرت منازلهم إنا إلى الله نرجـــــع
كمابان عنا شهمنا العالم الـذي سناه بأنوار الحقيقة يسطـــع
أبو زيد المشهور بالعلم والتقـــى له العلم فينا والمقام المرفـــــع
هو العالم الموصوف بالنفع والورى به عنهم خطب الحوادث يرفع[3]

حياته الشخصية:

يبدو أن الثعالبي آثر العلم على تكوين أسرة في وقت مبكر وهذا ما يتضح أنه استقر بعد إنهائه لرحلته العلمية ورجوعه إلى أرض الوطن إلا أن التراجم والسير لم تتطرق إلى سنه زواجه، وقد يكون على الأرجح قد تجاوز الثلاثين من عمره، لكن تفيدنا هذه الكتب بذكر عدد أبنائه وأسمائه فقد أنجب من زوجته الوحيدة مريم ثمانية أولاد وقد ساعدتها في وضعهم قابلتها "تلاتيماش" [4]أربع إناث وهن: فاطمة ورقية ومحجوبة و عائشة وقد توفيت البنات الثلاث في سنة واحدة هي 841هـ/ 1437م، أما عائشة ظلت حية إلى غاية سنة 851هـ/ 1447م، و4 ذكور توفوا كلهم: محمد الصغير توفي متأثرا بالطاعون سنة 846هـ/1442م، محمد الملقب بابن الصالحين توفي 852هـ/1447م، ومحمد الكبير، ويحي الذي كان يكنى به والده الثعالبي[5]، كما يكنى بابي زيد وذلك أن النسابة يقررون كل من اسمه عبد الرحمن يكنى بأبي زيد[6]، ولعل سبب إطلاق هذه الكنية على من اسمه عبد الرحمن عندما يكون هو أكبر الأبناء سنا، فقد ذكر ابن فرحون بان عبد الرحمن ابن الإمام التنسي هو الشقيق الأكبر لأخيه أبي موسى عيسى[7]، ذلك أننا

([1]) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، ج2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1385هـ/1965م، ص 281،285.

([2]) نفسه، ص 283.

([3]) التحفة المرضية، المصدر السابق، ص343.

([4]) دحمون، المرجع السابق، ص 41.

([5]) التنبكتي، نيل، المصدر السابق، عبد الرحمن بن يخلف بن أحمد الفازازي أبو زيد ص239، عبد الرحمان الهوميري أبو زيد، ص241، عبد الرحمن الرجراجي أبو زيد، عبد الرحمن بن الشعاب أبو زيد، ص243، عبد الرحمن بن سهيل القيسي أبو زيد، عبد الرحمن بن عفان الجزولي أبو زيد، ص244، عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام أبو زيد، ص245، عبد الرحمن اللجائي أبو زيد، عبد الرحمن الوغليسي أبو زيد، ص248، عبد الرحمن البرشكي أبو زيد، ص249،عبد الرحمن بن خلدون أبو زيد، 250، عبد الرحمن الكاواني أبو زيد،255، عبد الرحمن القرموني القيسي أبو زيد، ص256، عبد الرحمن بن موسى البرشوي أبو زيد، ص261.

([6]) ابن فرحون، الديباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنّان، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ/1996م، ص 250.

([7]) نفسه، ص 250.

وجدنا كثير من الفقهاء والمتصوفين يحملون اسم عبد الرحمن ولا يكنون بابي زيد كالفقيه الغرناطي عبد الرحمن بن احمد بن محمد ويعرف بالقصير[1]، والفقيه عبد الرحمن أبو القاسم بن محمد الحضرمي ويعرف باللبيدي، و أحد فقهاء فاس عبد الرحمن بن محمد بن الحسن المشهور بابن زانيف[2]والفقيه عبد الرحمن بن محمد بن علب بن عبد الله الأنصاري المعروف بالدباغ[3]، وغيرهم[4]، ومن ومن أحفاده الذين اعتنت كتب التراجم بسيرتهم : عيسى بن محمد بن أحمد بن عامر بن عياد الثعالبي أبو المهدي (ت 1082هـ/ 1671م) [5]، وحفيده الآخر يخلفتين[6]. عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الثعالبي ولد في مدينة تونس 14 شعبان 1293هـ/ 1874م [7].

مؤلفاته:

ترك الثعالبي زخما هائلا وهاما من حصيلة علمه ورحلاته وإجازاته على الفقهاء في مشارق الأرض ومغاربها، ومن ما هو مطبوع ومنها ما زال مخطوط قيد الخزائن والمكتبات[8]. أشهرها "كتاب الجواهر الحسان" اختصر فيه ابن عطية[9] مع فوائد وزوائد كثيرة ويقع في خمس أجزاء، وحقق وطبع خمس مرات، واعتمدت على الطبعة الثانية[10]،كتاب الأنوار في معجزات النبي المختار صل الله عليه وسلم، حقق وطبع في 4أجزاء[11] و روضة الأنوار ونزهة الأخبار والأنوار المضيئة الجامع بين الشريعة والحقيقة في جزء واحد، رياض الصالحين في جزء واحد، والتقاط الدرر والدر الفائق في الأذكار والدعوات وكتاب المرائي، والعلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة يقع في مجلد ضخم تولت طبعه المطبعة الحميدية المصرية بالقاهرة1317هـ/1899، ومقتطف من كتاب الجامع الكبير طبع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر 1339.و شرح ابن الحاجب الفرعي في سفرين جمع فيه نخب كلام ابن رشد وابن عبد السلام وابن هارون وخليل وغرر ابن عرفة مع جواهر المدونة وعيون مسائلها في سفرين وفي آخره جامع كبير نحو عشرة كراريس من القالب الكبير فيه فوائد وإرشاد السالك جزء صغير والأربعون حديثا مختارة والمختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع، و جامع الفوائد وكتاب جامع الأمهات في أحكام العبادات والنصائح وكتاب تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن والذهب الإبريز في غرائب القرآن

([1]) ابن فرحون، المصدر السابق، 248.

([2]) التنبكتي، نيل، المصدر السابق، ص243.

([3]) نفسه، 240.

([4]) نفسه، ص238-239، ابن فرحون، الديباج، المصدر السابق، ص 245-246.

([5]) عبد الحي بن أبي المفاخر محمد الكتاني، الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ج2، المطبعة الجديدة بالطالعة، عدد 11، 1347هـ، ص 190ن نقلا عن دحمون، المرجع السابق، ص42.

([6]) نيل، المصدر السابق، ص 488.

([7]) أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1984، ص10-11.

([8]) للمزيد من التفصيل حول تصانيفه في مختلف المجالات، يراجع، يخلف، عبد الرحمان الثعالبي، المرجع السابق، ص 45، 48.

([9]) اعتمد الثعالبي على كتاب "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية، وتصريحه بذلك، يخلف، المرجع السابق، ص 148.

([10])ذكر محقق كتاب الأنوار كل الطبعات لكتاب الجواهر، ص 127-128. تحقيق، عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 5ج، ط1سنة 1328هـ، ط2، 1406هـ.

([11]) حقق وطبع في 4 أجزاء بدار التراث ناشرون الجزائر بالاشتراك مع دار ابن حزم لبنان.

العزيز و رياض الأنس في الرقائق سير أهل الحقائق، و غنيمة الواجد وبغية الطالب الماجد، كتاب الإرشاد في مصالح العباد، ذكر جميعها في فهرسته[1].

تلاميذه:

أخذ عنه ثلة من الطلبة والمريدين أصبحوا فيما بعد من كبار فقهاء المغرب الأوسط وهم:

- أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بالزروق (ت 899هـ/ 1493 م) [2].
- أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري شهاب الدين أبو العباس (ت 884هـ/1479م) [3].
- أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني أبو العباس (ت 899أو 900هـ/ -1493 1494 م) [4].
- إسماعيل إبراهيم بن الجليل السنجاسي[5].
- عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي الحنفي (ت 920هـ/1514م) [6].
- عبد الرحمان بن علي بن عبد الله الغبريني البجائي[7].
- علي بن محمد التالوتي الأنصاري أبو الحسن أخ السنوسي من أمه (ت 895هـ/1489م) [8].
- عيسى بن سلامة البسكري[9].
- محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني أبو عبد الله (ت 909هـ/ 1503 م) [10].
- محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب بن مرزوق العجيسي التلمساني المشهور بالكفيف (ت كان حيا إلى غاية سنة 871هـ/ 1466م) [11].
- محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني (ت895هـ/1490) [12].

([1]) الأنوار، المصدر السابق، ج1، 129، دحمون، المرجع السابق، ص 55،62.

([2]) ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله: محمد ابن أبي شنب، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1406هـ/1986م . ص 45، نيل، المصدر السابق، 130،134.

([3]) الضوء اللامع، المصدر السابق، ج1، ص374.

([4]) البستان، المصدر السابق، ص38، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 129-130.

([5]) تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق،ج2، ص275.

([6]) دحمون، المرجع السابق، ص 52.

([7]) تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 58،74 .

([8]) نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 341-342. التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج في تراجم المالكية، ضبط النص وعلّق عليه: أبو يحيى عبد الله الكندري، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1422هـ/2002م.، ج1، 363.

([9]) لم يورد صاحب البستان تاريخ وفاته، المصدر السابق، ص210.

([10]) نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 576، 579.

([11]) نفسه، ص 574-575.

([12]) نفسه، ص 574-575.

- علي بن عباد التستري البكري الفاس المغربي[1].

منهجه:

يغلب عليه طابع التصوف والزهد وذلك نتيجة لتأثره بالغزالي وكتابه إحياء علوم الدين[2] الذي قوبل بالرفض في العصر المرابطي ووجد ترحابا في العصر الموحدي و الذي بعده، لكن الحقيقة لم يكن الثعالبي أول من تأثر بالفكر الغزالي من علماء وفقهاء المغرب الأوسط، وإنما كان السبق في ذلك إلى ثلة من الفقهاء الذين تبنوا عقيدته وساروا على نهجه و الذي كان منتشرا في حواضر تلمسان وجزائر بني مزغنة وبجاية وقلعة بني حماد[3]، وقد كان تأليف الثعالبي على طريقة الغزالي خصوص في كتاب في النظر في أمور الآخرة ورياض الصالحين وحقائق في التصوف والتقاط الدرر الذي يشبه إلى حد كبير كتاب الإحياء لشيخه الغزالي[4]، وقد أنشد أبيات يبين فيها زهده وفراغه من الدنيا ومحاسبة النفس[5] .

كما يظهر زهده حتى في لباسه وهذا منا نستشفه من خلال حديث تلميذه السنوسي الذي قال:" كنا يوما مع سيدي عبد الرحمن الثعالبي وعليه ثوب ابيض وعلى رأسه عمامة عريضة مسدولة على ظهره فوقف على مكان مرتفع ونحن أسفل منه فنظرت إلى ساقيه فرأيت طرف ثوب من شعر ملاصق لجسده فتعجبت من زهده رضي الله عنه حيث جعل الثوب الذي هو من شعر مواليا لجسده وجعل الثياب البيض من فوق ذلك فمن رآه بتلك الثياب البيض يظن انه من الحياة الدنيا وهو في باطن الأمر على خلاف ذلك"[6].

موقفه الجهادي:

ارتبط اسم الثعالبي بمدينة الجزائر، بالرغم من أن الثعالبي وأجداده ينتمون إلى فحص متيجة، الذي استوطنوه منذ القرن 7هـ هجري كما ذكرنا ذلك [7] ، إلا أن ارتباطه بمدينة الجزائر يرجع إلى الفترات المتأخر من حكم بني زيان، حين دب فيها الضعف وعجزت عن حماية أطرافها، فتولت كل ناحية حماية نفسها بنفسها عن طريق تولية زعيم يقوم على أمورها، فكانت ناحية الجزائر يحكم فيها مجلس محلي يعرف بمجلس الجماعة تحت زعامة عبد الرحمان الثعالبي ثم انتقلت الزعامة بعد وفاته إلى أولاد سالم. "[8]ومن جهة أخرى أن الولي الصالح توفي بمدينة الجزائر ودفن بها، وضريحه ما زال إلى حد الساعة له قداسته ومكانته في نفوس الناس، ومن

([1]) البستان، المصدر السابق، ص237، 248.

([2]) يخلف، عبد الرحمان الثعالبي، المرجع السابق، ص 36.

([3]) بونابي الطاهر، التصوف، المرجع السابق، ص 116،118.

([4]) عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمان الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص56-57.

([5]) عبد الرحمان الثعالبي، العلوم الفاخرة في أمور الآخرة ، ج1، المطبعة الحميدية المصرية، مصر، 1317هـ، ص104.

([6]) الملالي المواهب القدوسية في المناقب السنوسي، خ رقم 7008، الخزانة الملكية الرباط ورقة 17، نقلا عن قسوم، التصوف، المرجع السابق، ص 63.

([7]) العبر، المصدر السابق، ج6، ص 54. عمارة علاوة، زينب موساوي، "مدينة الجزائر في العصر الوسيط"، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع 44-45، 2009، ص30.

([8]) عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة: أبو القاسم سعد الله، محمد البشير الشنيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2003، ص273-274. عمارة، المرجع السابق، ص 33،35 .

المتعارف عليه أن المكان الذي نزل في الفقيه أو الصوفي ويدفن فيه يقترن باسمه فمثلا في تلمسان اقترن العباد باسم الولي الغوث[1]أبي مدين شعيب التلمساني دار الأندلسي أصلا[2].

يتضح موقفه من الأحداث التي كانت تدور في فلكه من خلال قوله في كتابه المشهور الجواهر هذا نصه:" واعلم رحمك الله إن أصل الوهن والضعف عن الجهاد ومكافحة العدو هو حب الدنيا وكراهية بذل النفوس لله، وبذل مهجها للقتل في سبيل الله إلا إلى حال الصحابة رضي الله عنهم وقلتهم في صدر الإسلام،وكيف فتح الله بهم البلاد، ودان لدينهم العباد، لما بذلوا الله أنفسهم في الجهاد، وحالنا اليوم كما ترى عدد أهلا لإسلام كثير، ونكايتهم في الكفار نزر يسير." [3] كما يبدو موقفه في الدعوة إلى الجهاد جليا من خلال رسالته التي عثر عليها شيخ المؤرخين أبي القاسم سعد الله ضمن مخطوط جزائري يعود إلى القرن 18 م وهي رسالة مخطوطة بالخط المغربي الجزائري، (كتبت بخط اليد) تتكون من ورقتين لكنها لا تتوفر على تاريخ ومكان النسخ، ومضمونها يتحدث عن الجهاد وهي ردا على الرسالة التي أتته من تلميذه ومريده يوسف الكفيف الذي يفهم من خلال سياق الرسالة أنه كان متوادا بنواحي بجاية، يستشيره في نقل كتبه إلى زواوة، فكتب إليه الثعالبي هذه الرسالة الآتي نصها بان ينقل الكتب إلى مكان لا تطوله أيادي العدو كما حث فيها (الرسالة) على الجهاد ومقاتلة العدو وذلك تزامنا مع خطر الهجمات الاسبانية التي كانت تهدد الشريط الساحلي للبلاد[4]، حيث يقول:" من عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، لطف الله به، إلى مقام الولد الفقيه الخير أبي عبد الله الله محمد بن أخينا في الله سبحانه سيدي احمد ابن سيدي يوسف الكفيف، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد وفقني الله وإياكم لمرضاته، وانعم علينا وعليكم بجزيل فضله وعميم خيراته. فقد وقفت على كتابكم وانتم تستشيروني (كذا) في نقل كتبكم إلى زواوة خوفا من عدو الدين أن ينزل بساحة المسلمين، فاعلم رحمك الله أن نقلها من الحزم ولكن إلى ما قرب منكم من الأماكن لأن العدو، دمرهم الله، إنما مقصدهم المدن. وفرحت بحمد الله باشتغالكم بدرق العود [5]فما يوجد أنفع للنُّشّابُ[6]ولا لدفع مضرته مضرته من درق العود، فمن كانت بيده درقة عند لقاء العدو يشفي ويستشفي ويبلغ غرضه بحول الله تعالى وقوته. وأما درق الجلد من لمط أو غيره فلا يغتر بها لأن السهام تنفذها (كذا) وتتجاوزها إلى ممسكها..... ولست أخاف على بلدكم لان

([1]) من الإغاثة بمعنى الذي يستجب الله تعالى لدعائه، وهي أعلى مراتب الوَلاية، ابن منظور، ج5، 3312. أيضا تعريفات الجرجاني "وقد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس، لا من حيث إنسانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها"، الجرجاني، ص 177-178.امي، بيروت،2003، ص273-274. عمارة، المرجع السابق، ص 33،35.

([2]) ابن مريم، ص 108، 114، أيضا محمد الطاهر علاوي، العالم الرباني أبو مدين شعيب التلمساني، مراجعة أبو بكر مرزوق، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 2011، ص 16،26.

([3]) عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، تحقيق، محمد عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 379

([4]) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص341-342. يخلف، عبد الرحمان الثعالبي، المرجع السابق، ص 34، 36.

([5]) الدرق هو الترس ، ويصنع من الجلود ، وجمعه درق وأدراق ودراق. لسان العرب، المصدر السابق، ج2، ص1363.

([6]) النُّشّابّ: النّبل والسّهام، واحدته نّشابة، ونقول قوم نَشّابة بمعنى يرمون بالنُّشاب. لسان العرب، نفسه، ج6، ص 4420.

والدكم ، رحمنا الله وإياه، أخبرني أنكم إن رأيتم ما لا تطيقون من كثرة العدو تخلون من اجله ولا يبقى في البلد إلا المقاتلة، ونصر الله تعالى نعكم مأمول، ولان العدو إذا علم أن الذرية والحريم وما عز من المال قد فاته فت ذلك في عضده ولم يقتحم كل الاقتحام لفوات غرضه. وأهل بلدنا وما قرب منها بل وما بعد عنهم لما إن حرضتهم على درق العود اجتهدوا في ذلك حاضرة وبادية ففرحت بحمد الله تعالى بامتثالهم ما أمروا به. وقد قدمت إلى فضلائهم أن النبي صل الله عليه وسلم أكد وأكد كثيرا فحرضت الناس جهدي، ورأيت اثر ذلك في الناس بحمد الله تعالى، وقد تكرر علي التحريض نحو سبع مرات وفي بعضها شد روحك يعني في التحريض، وفي بعضها وانتم منصورين، (هكذا بالياء). والذي آمركم به، وفقكم الله تعالى، أن تكثروا من دق العود كثرة تعمكم وتعم من يصرخكم.

وقد جاءني بعض إخواني من أهل الفضل فقال رأيت كأن فارسا وبيده درقة وهو يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الدرق والرماح. وفي رؤيا عنه، صل الله عليه وسلم، قال من عمل درقة يعني للجهاد فإنها تحول بينه وبين النار. لما أخبرتهم بهذه الرؤيا زادهم ذلك رغبة حتى أن جماعة من النساء اشترين الدرق لأجل وعده الصادق صل الله عليه وسلم.

واعلم يا أخي أن قلبي متألم من أهل بجاية وخفت عليهم كثيرا من جهة آمسيون. وقد بعثت إلى بعض الفقهاء، منهم بالتحريض من غير كتب فما رأيت لكلامي عندهم تأثيرا كما أثر هنا، وإذا أراد الله بأمر فلا محيد عنه، وإن هم قبلوا نصحي قاموا ممتثلين لتحريض النبي صل الله عليه وسلم، فان كلامه حق يقظة ومناما ورؤيته حق فان الشيطان لا يتمثل بصورته أي مطلقا.

والذي أحبه منهم أن ينهضوا ويسرعوا في عمل الدرق من الصفصاف وتكون كاسية ولا يتكلوا على الطوراق ولا على درق اللمط كما أخبرتك فاكتب إليهم بالتحريض في عمل الدرق ويكثروا كثرة تعمهم وتعم من يصرخهم وأهل البوادي هم أعلمهم قديما عراة لا درق معهم إلا نادرا. وقد انتهى حال جبالنا إلى أن اتخذوا الدرق من الفرنان، وكذلك أنتم فافعلوا بمن أعوزه درق العود فليصنعه من الفرنان الغليظ طبقين طبقين فإن كل عاقل يستشعر قتال بني الأصفر[1] فإنهم قد أصيبوا في القسطنطينية (كذا) وغيرها. وقد علمتم أنأخذها من الأشراط. وإن لبني الأصفر حمية في النصرة لصليبهم.

فاكتب رحمك الله لإخواننا ببجاية وحذرهم ليتيقظوا ويعملوا ما اشرنا إليه من الدرق على الوجه الذي اشرنا إليه فهي أقرب مراما وأقل كلفة من بناء الأصوار (كذا) التي يرقها (أو يرفعها) إلا المال الكثير في الزمان الطويل، ويخاف إن الأمر أعجل. اللهم إني قد بلغت ! اللهم إني قد بلغت ! اللهم إني قد بلغت ! اللهم اشهد ! اللهم اشهد ! اللهم اشهد !وإذا وصل إليك هذا الكتاب فاقرأه على جميع أصحابنا ثم ابعث به إلى بجاية لمن يعلن به ويشيعه.

ولو اطلعتم على ما اطلعت عليه من التحريض لما وسعكم أن تشغلوا شيء من أمور مهماتكم بعد الصلاة إلا بآلة الجهاد. والله والله لو لم يكونوا (كذا) بنو الأصفر على وجه الأرض لخلت أن ينبعوا من تحت الأرض لما رأيت من التحريض والتحذير منهم من قبل النبي صل الله عليه وسلم، ومن يحب تصديقه ولا يمكنني التصريح به لضعيف الإيمان. وقد سئل بعض الأولياء عن مسالة فسكت وقال للسائل إن إيمانك لا يحتمل هذا وبالجملة الحذر الحذر مما حذرتم.

([1]) الروم.

وما تعين وقتهم فذلك إلى الله، هو أعلم. نعم قراين الحال وما شوهد من تحريض النبي صل الله عليه وسلم يؤذن بالقرب. ومما ينبغي أن تكثروا منه المكاحل تعمكم وتعم من يريد صرختكم.

كملت من خط الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي. وكتب سيدي يخلف ابن محمد أصلحه الله"[1].

وبالفعل فقد كان حرص الثعالبي على الجهاد والاستعداد لمحاربة العدو في محله، وحاول جاهدا تعبئة أهل بجاية وحملهم على الجهاد وتحسيسهم بخطورة الوضع[2]وقد تنبأ بخطورته على المدن الساحلية التي كانت أكثر عرضة للغزو فقد وقعت مدينة وهران في أيدي الأسبان سنة 914هـ/ 1508م[3]أي بعد 39 سنة مرت على وافته رحمه الله.

البعد الكرامي في شخصية الولي الثعالبي:

إن الكرامة هي حدوث فعل أو أمر خارق للعادة لكنه لا يرقى إلى منزلة المعجزات، وقد ثبت حصولها واليقين من حقيقتها وليس من وحي الخرافات والأساطير " فان كرامات الأولياء تجري عليهم من حيث لا يعلمون، والأنبياء تكون لهم المعجزات وهم بها عالمون وبإثباتها ناطقون، لأن الأولياء قد يخشى عليهم الفتنة مع عدم العصمة، والأنبياء لا يخشى عليهم الفتنة بها لأنهم معصومون"[4]، وقد أورد ابن الزيات (ت 617هـ/1220م) إثبات كراماتهم فقال:" اعلم أن كرامات الأولياء جائزة عقلا ومعلومة قطعا"[5]وقال ابن قنفذ (ت ت.810 هـ/1407م):" لا ينكر الكرامة إلا معاند محروم سيء الاعتقاد وكثير الانتقاد"[6]لكن الكرامة ليست من الصفات الثابتة في شخصية الولي أو المتصوف، و" ليس ذلك من لازم كل سالك، بل عوارض تعرض لقوم دون قوم، وكرامات تظهر على بعض دون بعض،وقد يكون من تعرض له العوارض أكمل ممن لا تعرض له، كما قد يكون من تظهر عليه الكرامات دون من لا تظهر عليه"[7]و الأمثلة على ذلك من أولياء المغرب الأوسط كثير، فمثلا الولي الصالح إبراهيم الخياط لم تنسب له أية كرامة[8]، وسيدي أحمد المديوني الوهراني (ت951هـ/1544) [9]وغيرهم. وإذا الشيخ الثعالبي يعد من الذين لم تجرى على أيديهم الخوارق والكرامات، إلا أننا نجد له نوع من الكرامات والمتمثلة في الرؤى الصالحة والتي لا تكون إلى لعبد نقي تقي قريب من الله، فيروي الثعالبي رؤيته للنبي عليه الصلاة السلام أكثر من مرة وفي إحداها رأى انه يطعمه من طعام كان يوزعه ثم أمره

([1]) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص346، 349.

([2]) محمد الأمين بلغيث، فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي، أنتير سينيبي، الجزائر، 2007، ص92-93.

([3]) محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، المرجع السابق، ص227-228.

([4]) أبو بكر محمد بن إسحاق الكلابذي (380هـ/990 م) التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه، احمد شمس الدين، منشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001، ص79،81.

([5]) ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وإخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 22، 1997، ص54.

([6]) ابن قنفذ، أنس الفقير، المصدر السابق، ص4.

([7]) الساحلي المالقي محمد بن محمد، بغية السالك في اشرف المسالك، مخ، فقرة (ما يعرض من العوارض ويظهر من الكرامات)، ص 153-154، نقلا عن بن عتو، المرجع السابق، ص 50.

([8]) ابن مريم، البستان، المصدر السابق، ص 55.

([9]) نفسه، ص 53.

النبي بتقيئه بمعنى نشر العلم وبثه بين الناس، كما انه رآه مرة أخرى سنة 833هـ/1429 وهو يحث على طلب علم الطب ويقول له بأن من أخذ بهذا العلم هو أقرب منزلة من الرسول عليه السام يوم القيامة. وقد رأى الفقيه سعيد الهواري ثلاثمائة رؤيا تدل كلها على تفسير منام الرجل الذي رأى رؤية في فضل كتاب الجواهر الحسان وفسرها بأن هذا الكتاب لا يأتي بعده مثله[1].

ويورد القلعي في مخطوطه بستان الأزهار حكاية، تبرز مكانة الثعالبي الكراماتية، فيقول:" ومنها ما حكى أن بعض أصحاب الشيخ قالوا سيدي عبد الرحمان الثعالبي قال: من رأى من راني لا تاكله النار إلى ثلاثة"[2]، يفهم من هذه الحكاية أن الثعالبي يشفع في أصحاب أصحابه، ولا يمسهم سوء، فبما بالك بمريديه، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على علو شانه وتعظيم قدره عند المقرين بولايته، وإلا لما كان القلعي ليسرد هذه الحكاية في مناقب شيخه المليانى[3].

ذكر الثعالبي رؤية له في كتابه الجواهر الحسان هذا نصها:" في ليلة من الليالي وأنا أذكر الله إذ جازت علي سنة من النوم فإذا أنا بماء صاف مستبحر غير مهول وعليه ساحل حسن وإذا أنا بأناس مقبلين علي يريدون أن يعلموني السباحة فيه فسهل الله علي السباحة فكنت أتصرف فيه أحسن تصرف بسهولة وكان ابن عطية بإزائي في الساحل فجئت إليه مستدلا إليه كما يستدل الولد على والده أو الأخ على أخيه فقلت قم أنت أيضا فأسبح بي والكل مقبلون علي فأولت ذلك ما أنا مشتغل به اختصاره وجمع كلامه من الفضلاء. [4]

واعتبر الثعالبي الرؤى من الكرامات التي خص بها أولياء الله حيث أورد قولا للغزالي يؤكد فيه ذلك" اعلم بأن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في المنام وهذه هي أعلى الدرجات....." [5].

ضريحه:

بني حول المسجد المعروف باسمه "مسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي" والذي تم بناءه قرب منزله وفي حياته، وقد كان في بدايته يتوسط المقام لكنه أصبح جانبيا بعد أن زيد في مساحته من الناحية الشرقية على عهد الأتراك[6]، وبالرغم من سكوت المصادر التي أرخت لحياته عن سنة بناء ضريحه، إلا انه تتوفر لنا بعض المعطيات عن سنة تجديده، فقد كان أول تجديد للضريح على عهد مصطفى باشا سنة 1020هـ/1611م، إلا أن النقش الموجود بالخط الكوفي فوق الباب الخارجي للمقام، يثبت أن تاريخ الانتهاء من

([1]) نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص261.

([2]) أبو عبد الله محمد بن الصباغ القلعي: بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مخ، المكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر، رقم 1707، ورقة 5ظ.

([3]) حول ترجمة الولي أحمد بن يوسف المليانى الراشدي، يراجع: مؤلف مجهول: المناقب المليانية، ص 27. أحمد بن الطيب القادري، الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج، تحقيق: مارية دادي، تقديم: محمد بن شريفة، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 2009، ص 136.

([4]) نقلا عن قسوم، التصوف، المرجع السابق، ص 119.

([5]) نفسه ، ص 119.

([6]) التحفة المرضية، المصدر السابق، ص 348.

بنائه هو سنة 1108هـ/1696، والتي هي مجموع أرقام كلمة "بشوق"[1]، ويستدل على صحة هذا التاريخ بالعبارة التي كتبت باللهجة المحلية والتي تلت الأبيات الأربعة وهي : "عام ثمني وميا وألف"[2] ثم كان التجديد الثاني له سنة 1037هـ/1627م، على عهد حسين باشا، ثم التجديد الثالث على عهد عبدي باشا سنة 1342هـ/1730م،فقد وجدت أبيات شعرية فوق الجدار الأيمن داخل المقام، تذكر تاريخ تجديده واسم من وكل به هذا نصها:

كمل البنا[ء] بحمد رب فاتح بمحرم يسمو بحسن واضح
سنة اثنتين وأربعين تعقبـــــت مائة وألفا أسرعت كالجامح
في مدة الأحظى الأمين المرتضى عبدي وقاه الله كل طوالح
ولقد سعى فيه الوكيل محمـــد المشهور بابن الواضـــــح[3]

وقد ضمت قاعة المقام كلا من ضريح الثعالبي المغطى بتابوت خشبي ، وعند قدميه قبر سيدي أبي جمعة المكناسي وعل شماله قبر السيدة روزة بنت محمد الخزناجي حرم يحي أغا، وإلى نهاية الشمال الشرقي قبر الشيخ علي الحفاف، بالإضافة إلى قبر لحسن باشا ومصطفى باشا ولعمر باشا الجاج أحمد داي، وقد زخرفة هذه القاعة على الطراز الشرقي ، والتي اشتملت على خمسة خطوط وهي الخط الفارسي والكوفي والمغربي والأندلسي والشرقي، ولا تكاد تخلو جدران الضريح الأربعة من هذه الأنواع المذكورة[4].

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر المخطوطة:

1) القلعي أبو عبد الله محمد بن الصباغ: **بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار**، مخ، المكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر، رقم 1707.

2) مؤلف مجهول، **مناقب سيدي أحمد بن يوسف الراشدي المليانى**، مخ، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، نسخة الكترونية.

المصادر المطبوعة:

1) ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي(ت617هـ/1220م)، **التشوف إلى رجال التصوف**، ط2، تحقيق أحمد التوفيق المدني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات،رقم 22، 1997.

---

(1) قد فصل الباحث عبد الكريم، في معنى كلمة شوق التي تنتهي بها الأبيات الشعرية الأربعة المنقوشة على الباب المذكور، كالتالي: الباء=2، الشين=1000، الواو=6، القاف=100، نفسه، ص 350.

(2) نفسه، ص 350.

(3) نفسه، ص 350.

(4) نفسه، ص 350-351.

2) ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، **قاعدة في المحبة**،ضبطه وعلق عليه وخرج أحاديثه واعتنى به، محمد بن رياض أحمد الأثري، علم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005.

3) ابن حزم محمد بن علي المشهور الأندلسي، **جمهرة انساب العرب**، تحقيق وتعليق، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1382هـ/1962م.

4) ابن خلدون أبو زكريا يحي ابن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الحضرمي الاشبيلي (ت.780هـ/1378م): **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، ج.1، الجزائر: إصدارات المكتبة الوطنية– الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1400هـ/1980م.

5) ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الاشبيلي (ت.808هـ/1406م): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، مج.6و7، (د.ت.).

6) ابن عجيبة الحسن، **مصطلحات التصوف من واقع كتابه"مراجع التشوف إلى حقائق التصوف"**، تقديم، عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، القاهرة،1999.

7) ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين(ت. 799هـ/1396م): **الديباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنّان، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ/1996م.

8) ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت.810 هـ/1407م–1408م): **كتاب الوفيات**، ط4، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983. – **أنس الفقير وعز الحقير**، اعتنى بنشره وتصحيحه:محمد الفاسي، أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب.

9) ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني (ق. 11هـ/17م): **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله: محمد ابن أبي شنب، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1406هـ/1986م .

10) ابن منظور، **لسان العرب**، ج6، دار المعارف.

11) ابن ميمون محمد الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية** ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981.

12) أبو راس محمد بن احمد الناصر: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تقديم وتحقيق، محمد غانم، ج1، منشورات مركز في الأنتروبولوجية الاجتماعية والثقافية، 2005.

13) البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت.487هـ/1094م): **المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)**، بغداد: مكتبة المثنى، (د.ت.).

14) التنبكتي أحمد بابا (ت.1036هـ/1626م): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه: طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، 2.ج.، طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1398هـ/1989م.– **كفاية**

المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج في تراجم المالكية، ضبط النص وعلّق عليه: أبو يحيى عبد الله الكندري، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1422هـ/2002م.- **تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء**، تحقيق، سعيد سامي، منشورات معهد الدراسات الافريقية، الرباط، المملكة المغربية، 1992.

15) الثعالبي عبد الرحمان **الأنوار في آيات النبي المختار**، دارسة وتحقيق، محمد الشريف قاهر، ج1، جامعة الجزائر، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2005.

16) الثعالبي: عبد الرحمان الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ج1، تحقيق، محمد عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985.

17) االثعالبي عبد الرحمان: **العلوم الفاخرة في أمور الآخرة** ، ج1، المطبعة الحميدية المصرية، مصر، 1317هـ.

18) الجرجاني الشريف علي بن محمد، **كتاب التعريفات**، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988.

19) الحفناوي أبو القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بن سيدي إبراهيم الغول: **تعريف الخلف برجال السلف**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، عثمان بطيخ، القسم الأول والثاني، بيروت–تونس: مؤسسة الرسالة–المكتبة العتيقة، 1402هـ/1982م.

20) الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت.626هـ/1228م): **معجم البلدان**، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ج.5، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ/1990م.

21) الحميري محمد بن عبد المنعم السبتي الصنهاجي (القرن 08هـ/14م): **الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة)**، تحقيق: إحسان عباس، ط.2، بيروت: مكتبة لبنان، 1984م.

22) السّخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان (ت.902هـ/1514م): **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، مج7، ج11.

23) السراج محمد بن محمد الأندلسي الوزير (1149هـ/) ،**الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب الهيلة، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985

24) القادري أحمد بن الطيب ، **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج**، تحقيق: مارية دادي، تقديم: محمد بن شريفة، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 2009.

25) القادري حسين بن محمد الفركاوي، **شرح منازل السائرين**، تحقيق، عاصم إبراهيم الدكالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، ط1،كتاب ناشرون، بيروت، لبنان ، 2015.

26) القاشاني كمال الدين عبد الرازق ، **اصطلاحات الصوفية**، تحقيق وتعليق، محمد كمال إبراهيم جعفر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 2008

27) القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن ، **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر.

28) الكلابذي أبو بكر محمد بن إسحاق (380هـ/990 م) **التعرف لمذهب أهل التصوف**، ضبطه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه، أحمد شمس الدين، منشورات/ محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، .2001

29) المراكشي أبو عبد الله محمد الصغير الإفراني، **درر الحجال في مناقب سبعة رجال**، دراسة وتحقيق، حسن جلاب، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، ط2، 2016.

30) مؤلف مجهول (كاتب مراكشي من كتاب القرن 06هـ/12م ينسب لابن عبد ربه الحفيد): **الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر آفاق عربية، (د.ت).

31) مؤلف مجهول، **السفر الثاني من زهر البستان في دولة بني زيان 760–764هـ/1359–1363م**، عناية وتقديم، محمد بن أحمد باغلي،الأصالة للنشر والتوزيع، بدعم من وزارة الثقافة، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.

المراجع:

1) بلغيث محمد الأمين، **فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي**، أنتير سينيبي، الجزائر، 2007.

2) بن عتو عبد الله ، **أدب الكرامات من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي**، مطبعة الأمنية، الرباط، المغرب، 2014.

3) بونابي الطاهر ، **التصوف في المغرب الأوسط خلال القرنين 6–7هـ/12–13م**"مساهمة في تاريخ الديني والاجتماعي للجزائر خلال العصر الوسيط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2006

4) الجلالي عبد الرحمان ، **تاريخ الجزائر العام**، ط2، ج2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1385هـ/1965م.

5) الجندي أنور : **عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1984.

6) دحمون عن عبد الرزاق ، **الشيخ عبد الرحمان الثعالبي وآراؤه الاعتقادية من خلال تفسره الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

7) سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.- **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م.

8) سعيد محمد، **الولاية والصلاح بإفريقية في العصر الوسيط الأول**، مجمع الأطرش للنشر وتوزيع الكتاب المختص، ط1، تونس، 2018.

9) الطمار محمد بن عمرو ، تلمسان عبر العصور–دورها في سياسة وحضارة الجزائر– المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

10) العامري نللي سلامة:**الوَلاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي**، تقديم: هشام جعيط، مج.12، تونس: منشورات كلية الآداب بمنّوبة، جامعة منّوبة.

11) عبد الله بركة عبد الفتاح ، **الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية**، ج2، منشورات الكتب العصرية، صيدا، بيروت.

12) عبد الله بن عبد القادر ، **المطرب بمشاهير أولياء المغرب**، ط4، دار الأمان، الرباط، 1424هـ،2003م.

13) علاوي محمد الطاهر ، **العالم الرباني ابو مدين شعيب التلمساني**، مراجعة أبو بكر مرزوق، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 2011.

14) قسوم عبد الرزاق ، **عبد الرحمان الثعالبي والتصوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

15) الكعاك عثمان ، **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، تقديم ومراجعة: أبو القاسم سعد الله / محمد البشير الشنيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2003.

16) مخلوف ابن القاسم محمد بن محمد بن عمر(ت.1360هـ/1941م): **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، خرّج حواشيه وعلّق عليه: عبد المجيد خيالي، ج.1، بيروت: منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنّة والجماعة (دار الكتب العلمية)، 1424هـ/2003م.

17) منصور عند عبد الوهاب، **قبائل المغرب**، ج1، المطبعة المالكية بالرباط، المغرب، هـ1388/1968م.

18) نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط.2، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1400هـ/1980م.

الدويات والمجلات:

1) بودشار محمد رضا :" **الطبيعة وتشكيل المقدس في الوَلاية الصوفية**"، أفكار، شهرية تعنى بقضايا الفكر والدين، ع(12)، يناير 2012، المملكة المغربية، ص28، 40.

2) التازي عبد الهادي: " **القبائل العربية بالمغرب بحسب مخطوط ابن العياشي(1139هـ/1727 م)**"، ج84، مجلة مجمع اللغة العربية، محرم 1420/ماي 1999. ص 186،197.

3) دحمور منصور:" **الذهنية الاقتصادية لأولياء المغرب الأوسط فيما بين ق5–10هـ/ 11–16م**" ع(1)، مجلة حروف للدراسات التاريخية، أوت2014.

4) دهاش الصادق: " **العلامة عبد الرحمان الثعالبي رحلة علم وعمل**" (**القسم الأول**)، مجلة الدراسات الإسلامية، ع11، جمادى الثانية 1428هـ/ جوان 2007م، مجلة ثقافية محكمة نصف سنوية يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر. " **العلامة عبد الرحمان الثعالبي رحلة علم وعمل**" (**القسم الثاني**)، مجلة الدراسات الإسلامية، ع12، رجب1428هـ/ جويلية 2007م، مجلة ثقافية محكمة نصف سنوية يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر.

5) صاري أمينة سليمة: " **قراءة في مخطوط الجامع الكبير للعلامة أبي زيد عبد الرحمان الثعالبي (ت875ه/1470م)**"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 03، مركز البصيرة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2014، 158،133.

6) عليوان أسعيد: " **عبد الرحمان الثعالبي متصوفا**"، المعيار، دورية علمية محكمة، ع 14، رجب 1428هـ/ جويلية 2007م، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.

7) عمارة علاوة ومساوي زينب: **"مدينة الجزائر في العصر الوسيط"**، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع 44-45، 2009.

8) المدني أحمد توفيق: " **عبد الرحمان الثعالبي علامة الجزائر**" مجلة مجمع اللغة العربية، ج 47، رجب 1401هـ/1981م.

9) يخلف رمضان: **عبد الرحمان الثعالبي ومنهجه في التفسير**، إشراف، مساعد مسلم آل جعفر، ماجستير، معهد أصول الدين، شعبة الكتاب والسنة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1991-1992.

10)